﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: 91]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

عَودٌ إلى بيانِ قبائحِ أقوالِ اليهودِ وأفعالِهم، وما يَتعدَّرُون به من كُفرِهم بما أَنزلَ اللهُ وبرسولِه الأمينِ محمّدٍ ﷺ، وتوبيخِهم على أفعالِهم، ولمَّا أقامَ ﷺ الحُجَّةَ على استحقاقِهم الخُلودَ والعَذابَ المُهين في النَّار بكفرِهم بكتابِ اللهِ، أَقامَ حُجَّةً أخرى عليهم أبينَ منها وأظهرَ؛ وذلكَ بكُفرِهم بكتابِهم نفسِه؛ إذْ لمّا كفروا بالقرآنِ الّذي هو مُصدّقٌ للتَّوراةِ، كفروا بالتَّوراةِ نفسِها؛ لأنَّ المُكذِّبَ بالمُصَدِّقِ لِشَيءٍ مُكَذِّبٌ بذلكَ الشَّيءِ[1].

وبعبارة العلاّمة ابن عاشور، هذا الكلامُ "مِن عَطْفِ حِكاياتِ أحْوالِهِمْ في مَعاذِيرِهِمْ عَنِ الإعْراضِ عَنِ الدَّعْوَةِ الإسْلامِيَّةِ، فَإذا دُعُوا قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ، وإذا سَمِعُوا الكِتابَ أعْرَضُوا عَنْهُ بَعْدَ أنْ كانُوا مُنْتَظِرِيهِ حَسَدًا أنْ نَزَلَ عَلى رَجُلٍ مِن غَيْرِهِمْ، وإذا وُعِظُوا وأُنْذِرُوا ودُعُوا إلى الإيمانِ بِالقُرْآنِ وبِأنَّهُ أنْزَلَهُ اللهُ أنْ يَنْظُرُوا في دَلائِلِ كَوْنِهِ مُنَزَّلًا مِن عِنْدِ اللهِ أعْرَضُوا وقالُوا: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أيْ: بِما أنْزَلَهُ اللهُ عَلى رَسُولِنا مُوسى، وهَذا هو مَجْمَعُ ضَلالاتِهِمْ ومَنبَعُ عِنادِهِمْ؛ فَلِذَلِكَ تَصَدّى القُرْآنُ لِتَطْوِيلِ المُحاجَّةِ فِيهِ بِما هُنا وما بَعْدَهُ تَمْهِيدًا لِقَوْلِهِ الآتِي ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: 106] الآياتِ"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿مُصَدِّقٌ﴾: أَصلُه (صَدَقَ)، ويَدورُ المعنى عَلَى: قُوَّةٍ في الشَّيْءِ في القَوْلِ وَغَيره، ومِنْ ذَلِكَ: الصِّدْقُ؛ ضِدُّ الكَذِبِ، سُمِّيَ صِدْقًا؛ لِقُوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ؛ وَلِأَنَّ الكَذِبَ باطلٌ لَا قُوَّةَ لَهُ، فَيقالُ: هُوَ صَادِقٌ، وَصَدُوقٌ مُبَالَغَةٌ، وصَدَّقَ يدلُّ على: كَثرةِ الصِّدقِ، واسمُ الفاعِلِ: مُصَدِّقٌ، يقال: مُصَدِّقٌ للشَّيءِ؛ بمَعنَى: مُحَقِّق له[3].

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 2/48.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/606.

(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والفيومي، المصباح المنير: (صدق).

2) ﴿وَرَآءَهُۥ﴾: هو في الأصلِ مَصدَرُ (وَارَى) بمعنى سَتَرَ، ويقتضي أنْ يكونَ المَستورُ مَخفيًّا، ويستعملُ بمَعنَى: خَلْفَ، وهو الغالبُ في الاستِعمالِ، وبمَعنَى: قُدَّام، فيكون من الأضدادِ، وقيل: الوَراءُ يأتي بمَعنًى آخَرَ كما في قولِهِ تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ [المُؤْمِنُونَ: 7]؛ أَي: سِوى ذَلِك، فيكون (وَرَاء) له أكثرُ من المَعنَيَينِ المُتَضادَّين (خلف وقدّام)، فيكون اللَّفظُ مُتَواطئًا[1]، والظَّاهرُ أنَّ وراءَ بمَعنَى: خَلْفَ المُقتضي السِّترَ والخَفاءَ، وكلُّ ماجاءَ بخِلافِ الخَلْفِ فهُو على مَعنَى السَّترِ والخَفاءِ. و معنى: ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ في الآيَةِ: بمَا عَدَاهُ وَتَجَاوَزَهُ؛ أَيْ: ويكفرونَ بِغَيْرِهِ، ويقصدُ به القرآن[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تخبر الآية عن تناقضِ اليَهودِ في أفعالِهم، وتُقيم الدَّليلَ على إبطالِ ما يَدَّعُونَهُ من إيمانهم بالتَّوراةِ؛ فإنَّهم إذا قال لهم بعض المسلمين: صدِّقوا بما أَنزل اللّه من القرآن، قالوا: نحن نصدِّق بما أنزل اللّه على أنبيائنا، ويجحدون ما أنزل اللّه بعد ذلك، وهو الحق مصدِّقًا لما معهم. فلو كانوا يؤمنون بكتبهم حقًّا لآمنوا بالقرآن الذي صدَّقها. قل - أيها النبي - جوابًا لهم: لِمَ تقتلون أنبياء اللّه من قبل إن كنتم مؤمنين حقًّا بما جاؤوكم به من الحق؟!

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بَلَاغَةُ عَطْفِ القِصَّةِ على القِصَّةِ:

بيانُ أحوالِ اليَهودِ في الإعراضِ عن الحَقِّ، والتَّعذُّرِ عن قبولِهِ

قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 89]، المَعْطُوف عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ﴾ [البقرة: 88]، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ عَطْفِ حِكَايَاتِ أَحْوَالِهِمْ فِي مَعَاذِيرِهِمْ عَنِ الإِعْرَاضِ عَنِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ؛ فَإِذَا دُعُوا قَالُوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفُۢ﴾، وَإِذَا سَمِعُوا الكِتَابَ أَعْرَضُوا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُنْتَظِرِيهِ، وَإِذَا وُعِظُوا وَأُنْذِرُوا وَدُعُوا إِلَى الإِيمَانِ بِالقُرْآنِ أَعْرَضُوا وَقَالُوا: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أَيْ: بِمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والسمين، عمدة الحفاظ: (ورى).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/607.

رَسُولِنَا مُوسَى، وَهَذَا هُوَ مَجْمَعُ ضَلَالَاتِهِمْ وَمَنْبَعُ عِنَادِهِمْ؛ فَلِذَلِكَ تَصَدَّى القُرْآنُ لِتَطْوِيلِ المُحَاجَّةِ فِيهِ بِمَا هُنَا وَمَا بَعْدَهُ تَمْهِيدًا لِقَوْلِهِ الآتِي: ﴿۞مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: 106][1].

نكتةُ اسْتِعمالِ ﴿إِذَا﴾ دُونَ غيرِها:

بيانُ حالِ المُؤمِنين في حِرصِهم على دَعوةِ الآخرِ للحَقِّ

جاءتْ حكايةُ قصَّةِ دَعوةِ اليهودِ بـ(إذَا) للإشارةِ إلى القَطعِ بوقوعِ دَعوةِ المُؤمنينَ لبني إسرائيلَ، وأنَّ العَلاقةَ قائمةٌ بين المُؤمِنين واليَهودِ على التَّواصلِ الدَّعَويّ، ابتداءً من جهةِ المُؤمِنين، حِرصًا على إيمانِ اليَهودِ، وانتهاءً بإعراضِ اليَهودِ عن ذلكَ، وإتيانِهم بالتَّعذُّراتِ الواهيةِ.

فائدةُ بناءِ الفِعلِ للمَفعُول:

بيانُ حَالِ اليَهودِ ممَّن يَدعُوهم، وأنَّها حالٌ ثابتةٌ لا تَتَغيَّر

جاءَ فِعلُ القولِ مَبنيًّا للمفعولِ ﴿قِيلَ﴾ دون النَّصِّ على الفاعلِ وأنَّهم المُؤمِنون؛ لتحقُّقِ مَعرفةِ ذلك الأمرِ لدى المخاطَبِ، ولبيانِ حقيقةِ موقفِ اليَهودِ ممَّن يَدعُوهم إلى الإيمانِ بقطعِ النَّظرِ عن مكانتِهِ، سواءٌ أكانَ نبيًّا أَم صَحابيًّا أَم أَعرابيًّا، فموقفُهم واحدٌ، وهو الرَّفضُ، فهُم يَرفُضونَ لأجلِ الرَّفضِ والإعراضِ، ففيه بيانُ أحوالِهم القَبيحةِ، ونُفُوسِهم المَريضةِ.

معنى حرفِ اللَّامِ في قوله ﴿لَهُمْ﴾:

تبليغُ القولِ ووُصولُه للمَقُولِ له

أفادتِ اللامُ معنى التبليغِ، وهي التي تأتي مع قولٍ أَو ما في معناه، مثل: قلتُ له، وبينتُ له[2]، بمعنى وُصولِ القَولِ لَهم، وتبليغِهِم بِهِ، وفيهِ تأكيدُ وصولِ القَولِ، معَ نَكهةِ الاختِصاصِ.

سِرُّ التَّعبيرِ عن القرآنِ بـ﴿مَا﴾ المَوْصُولَةِ:

المَطلوبُ هو الإيمانُ بالمُنزَلِ من عندِ اللهِ بقَطعِ النَّظرِ عن صفتِهِ

يتخيَّرُ النَّظمُ أسلوبَه لإفادةِ مَعنًى مَخصوصٍ، فجاء بحرفِ (مَا)؛ لإفادةِ العُمومِ - وهو وإن أُريدَ به خصوصُ القرآنِ إلَّا أنَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/606.
(2) الشاطبي، المقاصد الشافية: 3/613.

العُمومَ مرادٌ -؛ ذلك أَنَّ الآيةَ أفادَتْ أمرين: الأوَّل: طلبُ الإيمانِ بالقرآنِ، الثَّاني: إقامةُ الدَّليلِ عليه بأنَّه منزَلٌ من عندِ اللَّه تعالى؛ فكما أنَّ اليهودَ يدَّعون الإيمانَ بالتَّوراةِ لأنَّها نازلةٌ من عندِ اللَّه؛ فَعَلَيْهِم الإيمانُ بالقرآنِ لأنَّه نازلٌ من عند اللَّهِ كذلكَ، فدلالة العُمومِ ظاهرةٌ في أنَّ المطلوبَ هو الإيمانُ بما أنزلَه اللَّه، بقطعِ النَّظرِ عن كونِه توراةً أو قرآنًا؛ فجمَعَ هذا الأسلوبُ الدَّعوَى ودليلَها، بعبارةٍ وجيزةٍ دالَّةٍ على المقْصُودِ.

نكتةُ حذفِ مُتعلَّقِ الفِعلِ ﴿أَنزَلَ﴾:

بيانُ أنَّ الإيمانَ هو بالمنزَلِ ابتداءً، وهو الذي تقومُ به الحُجَّةُ

لم يُقيَّدِ الفعلُ ﴿أَنزَلَ﴾ ببيانٍ على مَنْ أُنْزِلَ، معَ أَنَّهُ جزءٌ مُتَمِّمٌ لوصفِ القرآنِ المَقصودِ بالدَّعوةِ؛ لمعرفتِه، ولدلالة اللِّحاقِ عليه، ولتأكيدِ أنَّ الإيمانَ هو بالمُنزَلِ ابتداءً؛ فالَّذي تَلزَمُ بِهِ الحُجَّةُ كونُ القرآنِ مُنَزَّلًا مِنْ عندِ اللَّهِ، فالقَيدُ المَحذوفُ لا مَدخلَ له في إلزامِ الحُجَّةِ.

نُكتَةُ مَجيءِ الفِعلِ ﴿نُؤْمِنُ﴾ بصيغةِ المُضارِعِ:

التَّواري خلفَ الإيمانِ بالتَّوراةِ، تَعِلَّةٌ للامتناعِ عنِ الإيمانِ بالقُرآنِ

جاءَ قولُه تعالى على لِسانِ اليَهودِ: ﴿نُؤْمِنُ﴾ بصيغةِ المُضارِعِ؛ لبيانِ استمرارِ إيمانِهم المخصَّصِ بما أُنزِلَ عليهم وهو التَّوراةُ، وأرادوا كذلك "الاعْتِذَارَ وَتَعِلَّةَ أَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ: آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ، عَلِمُوا أَنَّهُمْ إِنِ امْتَنَعُوا امْتِنَاعًا مُجَرَّدًا عُدَّتْ عَلَيْهِمْ شَنَاعَةُ الامْتِنَاعِ مِنَ الإِيمَانِ بِمَا يُدَّعَى أَنَّهُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ؛ فَقَالُوا فِي مَعْذِرَتِهِمْ وَلِإِرْضَاءِ أَنْفُسِهِمْ نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنَا؛ أَيْ أَنَّ فَضِيلَةَ الانْتِسَابِ لِلإِيمَانِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَدْ حَصَلَتْ لَهُمْ؛ أَيْ: فَنَحْنُ نَكْتَفِي بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَزَادُوا إِذْ تَمَسَّكُوا بِذَلِكَ وَلَمْ يَرْفُضُوهُ"[1].

مبلغُ تعظيمِ اليَهودِ لأنفسِهم، وعدمُ العنايةِ بالأدبِ مع اللهِ تعالى

العُدُولُ عنِ الفِعلِ المَبنيِّ للفَاعلِ إلى المَبنيِّ للمفعولِ:

عدلَ النَّظمُ عن ذكرِ الفاعلِ في قولِه تعالى: ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، ولم يوافقْ ما قبلَهُ مِنْ قولِه تعالى: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ غرضَ اليهود

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/607.

تعظيمُ أنفسِهم، وتَعظيمُ التَّوراةِ، فكأنَّ إيمانَهم بالتَّوراةِ حصلَ بِسَبَبِ خَصوصيَّة إنزالِها عليهم، ولِهذا أَتبعَهُ بِجملةِ الحالِ: ﴿وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾، معَ أنَّ الذي يُناسِبُ مقامَ ادِّعاءِ الإيمانِ بالتَّوراةِ، هو ذكرُ الفاعلِ ففيهِ تشريفٌ عظيمٌ، لكنَّهم عَدَلوا عن ذلك لسوءِ أَدبِهم وعدمِ اكتراثِهم إلَّا بأنفسِهم، وهذا من قبيحِ أقوالِهم، وهذا لا يُنافي العِلمَ بالفاعلِ؛ إذ لَا يُنَزِّلُ الكُتُبَ الإلَهِيَّةَ إلَّا اللَّهُ[1]؛ فإنَّ من شروطِ حذفِ الفاعلِ وإقامةِ المفعولِ مكانَه أَمْنَ اللَّبْسِ.

دلالة صيغة الفعل المضارع ﴿وَيَكۡفُرُونَ﴾:

الإعجاز الغيبيُّ في الإخبارِ عنِ المُداوَمَةِ على الكُفرِ زمنًا تِلْوَ الآخَرِ

كفرُ اليهودِ غيرُ مقيّدٍ بزمنٍ دون آخرَ، فهمْ يستمرُّونَ على الكفرِ بِمَا وراءَ ادِّعاءِ الإيمانِ بالتَّوراةِ حالًا فحالًا؛ فجاء الفعلُ مضارعًا إشعارًا بالمداومةِ، ومُحَاكَاةً لِقَوْلِهِمْ: نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا، وتصريحًا بما كَنَّوا عنه ولَوَّحُوا به بقولهم: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾[2].

بلاغةُ حَذفِ المُسندِ إليه في قولِهِ: ﴿وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾:

توجيه النَّظرِ إلى المُسندِ؛ فإنَّه مَحَطُّ الفائدةِ؛ لإظهارِ التَّعجُّبِ من تناقضِ اليهودِ

حُذِفَ المُسندُ إليه في الجملة الحاليّة: ﴿وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾؛ لاستحضارِه والعلمِ به بدلالة السِّياقِ، والتقدير: "وهم يكفرون"، ولتوجيه النَّظرِ إلى كفرِهم؛ فإنَّه شيءٌ عجيبٌ غريبٌ أَنْ يجتمعَ نقيضانِ؛ إذ قالوا نؤمنُ بالتَّوراةِ في حالِ أَنَّهم يكفرونَ بما هو مُصدِّق للتَّوراةِ، فجاء قولُهم مُناقضًا حالَهم[3]؛ فآل الأمرُ إلى الاستدلالِ بإقامةِ الحجَّةِ عليهم؛ "لأَنَّهم إذا كَفَرُوا بما يُوافقُ التَّوراةَ فقدْ كَفروا بها"[4].

أَثَرُ مَعنَى المُفردةِ ﴿وَرَآءَهُۥ﴾ في اسْتِجْلاءِ البَلاغةِ:

اجتماعُ الأقوالِ وتكاملُها في ذَمِّ مَن لا يُؤمنُ بالقرآنِ

يختلفُ بيانُ النُّكتةِ البيانيَّةِ بحسبِ تحديدِ معنى كلمةِ (وراءَ) في قولِه تعالَى: ﴿وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾؛ فإذا قلنا: إنَّ كلمةَ (وراءَ)

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 1/492، والسمين، الدر المصون: 1/514.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/607.
(3) السمين، عمدة الحفاظ: 1/513.
(4) الزمخشري، الكشاف: 1/165.

بمعنى الخَلْفِ؛ فتكونُ إمَّا كنايةً عن رفضِهم الإيمانَ بالقرآنِ؛ إذ جعلوه وراءَ ظهورِهم، وإمَّا استعارةً تصريحيَّةً تبعيَّةً إذ شبَّهوا القرآنَ الّذي لم يؤمنُوا به بالشَّيءِ الذي يكونُ وراءَهم فلا يُرى، وإذا قلنا: إنَّ كلمةَ (وراءَ) بمعنى قدَّام؛ فيكون مدحًا للقرآنِ، إذ هو المُهيمنُ على الكُتُبِ المنزَّلةِ وإمامُها، ومن حَيثُ هو مدحٌ للقرآنِ هو ذمٌّ لهم إذْ كفروا به، ومثلُه لا يُكفرُ به، وعلى القَولين؛ فإنَّهما يتَكامَلانِ في ذمِّ اليهودِ لعَدمِ إيمانِهم بالقرآنِ.

معنى اللَّامِ في كلمةِ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾:

اجتماعُ معاني الكمال والتَّمامِ في القرآنِ الكريم

إمَّا أنْ نحملَ اللَّامَ في كلمةِ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ على معنى كمالِ الصِّفةِ؛ أي: استغراقِ مَعنَى الوصفِ على سَبيلِ المَدحِ[1]، فالمَعنَى وصفُ القرآنِ بكمالِ الحَقِّ؛ لأنَّه ثابتٌ ولا زَوالَ له، فانتهَت غايةُ الحقِّ إليه، وما ثَبَتَ لغيرِه وَقتًا فَهو حَقٌّ، لكنَّه ليس الحقَّ الموصوفَ به القرآنُ.

وإمَّا أنْ نحملَها على مَعنَى الجنسِ؛ فيكونُ المرادُ وصفَ القرآنِ واشتهارَه بالحَقِّيَّةِ المعروفِ بها المُسَلَّمِ لَهُ الاتصافُ بها، وعلى معنى الجنسِ؛ فإمَّا أنْ تُفيدَ الحَصْرَ على مَعنَى أنَّ القرآنَ حقٌّ معَ كونِه مُصَدِّقًا، أو أنْ لا تُفيد الحَصْرَ؛ لأنَّ التَّوراةَ حقٌّ كذلكَ ومثلَها الإنجيلُ، وتكونُ فائدةُ تعريفِ المسندِ هنا زيادةَ التَّوبيخِ والتَّجهيلِ لبني إسرائيلَ بمَعنَى: وأنَّه خاصّةً هو الحقُّ الذي يقارنُ تَصديقَ كتابِهم[2]، وكِلا المَعنيَين الاستغراق والجنس مُتَحَقِّقٌ ثابتٌ للقرآنِ.

تحديدُ نوعِ الحالِ في قولِهِ: ﴿مُصَدِّقًا﴾:

التقاءُ مَعنَى التَّأكيدِ والتَّأسيسِ في بيانِ جُملةِ الحالِ

اختلفَ المفسِّرونَ في تَعيينِ نوعِ الحالِ في كلمةِ: ﴿مُصَدِّقًا﴾؛ فمن قال بأنَّ مَعنَى الحقِّ في قولِه: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ هو تصديقُ الكتبِ السَّابقةِ؛ إذ لا يكونُ حقًّا إلَّا إذا صَدَّق الكتبَ السَّابقةَ[3]، فالمصدرُ

(1) ابن مالك، شرح الكافية الشافية: 1/323، والمرادي، الجنى الداني، ص: 149.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 2/329، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/608.
(3) الزجاج، معاني القرآن: 1/174.

واحدٌ، ويُقصَدُ بالحالِ المؤكِّدة تقريرُ المعنى وتأكيدُه، وفيها فائدةٌ وهي أنَّها تأتي لازمةً لِمَا سَبقَها، فضلًا عن أنّ فائدةَ التأكيد بيانُ أهميَّةِ المؤكَّد وعِظَم شأنِه.

ومن قال بأنَّ الحقَّ لا علاقةَ له بكونِه مصدِّقًا أو غيرَ مُصدِّق، بل الحقُّ في نفسِه حَقٌّ سواءٌ أكان مصدِّقًا لغيره أم لا، قال بأنَّ الحالَ مُؤسِّسةٌ[1]؛ "لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ مُشْعِرٌ بِوَصْفٍ زَائِدٍ عَلَى مَضْمُون ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ إِذْ قَدْ يَكُونُ الْكِتَابُ حَقًّا وَلَا يُصَدِّقُ كِتَابًا آخَرَ وَلَا يُكَذِّبُهُ"[2].

ولا تعارضَ بين القولين؛ إذ مفهومُ التَّأسيسِ يلتقي بما يُفيدُه التَّأكيدُ، لكنْ لا باعتبارِه شرطًا كما هو الأمرُ في التَّأكيدِ.

فائِدَةُ الفَصْل في المُحاجَّةِ:

فُصِلَتْ جملةُ: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ عمَّا قبلَها؛ لِأَنَّها "اعْتِرَاضٌ[3] في أَثْنَاءِ ذِكْرِ أَحْوَالِهِمْ قَصَدَ بِهِ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ في مَعْذِرَتِهِمْ هَذِهِ؛ لِإِظْهَارِ أَن مُعاداةَ الأَنْبِيَاء دَأْبٌ لَهُمْ، وَأَنَّ قَوْلَهُمْ: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ كَذِبٌ؛ إِذْ لَوْ كَانَ حَقًّا لَمَا قَتَلَ أسلافُهم الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَدَعَوْهُمْ إِلَى تَأْيِيدِ التَّوْرَاةِ، وَالأَمْرِ بِالعَمَلِ بِهَا، وَلَكِنَّهُمْ يُعْرِضُونَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَهَذَا إِلْزَامٌ لِلحَاضِرِينَ بِمَا فَعَلَهُ أَسْلَافُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَرْوْنَهُمْ عَلَى حَقٍّ فِيمَا فَعَلُوا من قتل الأَنْبِيَاء"[4]، وفائدةُ الفصْلِ: مُباغتةُ القومِ بإلقامِ لهواتِ حناجرِهم الحجرَ الصَّلدَ؛ فإنَّهم في غمرةِ باطلِهم ساهُون عمَّا يُحيطُ بهم من أفعالِ الباطلِ الّتي تُجلِّلُهم من كلِّ اتِّجاه؛ فكان هذا الفصلُ مُباغتًا غيرَ متوقَّعٍ.

مُباغَتَةُ القومِ بإلقامِ لَهَواتِ حَناجِرِهم الحجرَ الصَّلدَ، جزاءً لأعمالِهم الباطلةِ

بلاغةُ تقديمِ جوابِ الشَّرطِ:

قُدِّمَ جوابُ الشَّرطِ ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ على شرطِه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ على رأي الكُوفِيين[5]؛ لبيانِ بَشاعةِ أفعالِهم بذكرِ

بيانُ بَشاعةِ الأفعالِ بذكرِ أقبَحِها على الإطلاقِ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/171، والسهيلي، نتائج الفكر: 1/305.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/608.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/94.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/608.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 1/325.

أقْبَحِها على الإطلاق – وهو قتلُ الأنبياء – ولتقويةِ مَعنَى المُباغتةِ الّذي أرادتْه الجُملةُ في إلقامِهم الحُجَّة، وعلى رأي جُمهورِ النُّحاةِ أنْ لا تقديمَ في الكلام[1]؛ فيكون الكلامُ على أصلِه، وهو ما يُمحِّضُ مَعنَى المُباغتةِ وإنكارِ ما قامَ بهِ أولئكَ بأنبيائِهم.

بَديعُ الاختِباكِ:

تضمَّن قولُه تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فنَّ الاحْتِباكِ البديعي[2]؛ إذْ حَذَف من الجملةِ الأولى ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ ما ذَكَرَه في الثانية ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وحَذَفَ من الثَّانية ما ذَكَرَه في الأولى[3]، فيكونُ تقديرُ الكلام: إنْ كُنتم مؤمنينَ؛ فَلِمَ تَقتلونَ أَنبياءَ اللّه مِنْ قَبْلُ، فَلِمَ تَقتلونَ أَنبياءَ اللّه مِنْ قَبْلُ إنْ كُنتُم مُؤمنينَ، وَهو وإنْ كانَ مُتكلَّفًا في التَّقديرِ، إلَّا أَنَّه مُستساغٌ في الظَّاهِرِ.

إيجازُ الألفاظِ، دليلٌ على اكتنازِها بالمَعاني

معنى الاستفهامِ في قولِه تعالَى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾:

أَفادَ الاستفهامُ في قولِه تعالَى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ الإنكارَ البليغَ، تبكيتًا لفعلِهم وتَقريعًا لهم وتَشنيعًا[4]، وحُذِفتْ ألفُ (مَا) فَرْقًا بين الاستفهاميَّةِ والخَبَريَّة[5].

بيانٌ شديدِ الإنكارِ، تبكيتًا وتقريعًا وتشنيعًا

بيانُ مَعنَى التَّهكم بتَقديرِ المَحذوفِ:

يُشْعِرُ الشَّرطُ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بالتَّهكُّم والاستهزاءِ، كَمَا تَقُولُ لِمَنْ بَدَا مِنْهُ مَا لَا يُنَاسِبُهُ: فَعَلْتَ كَذَا وَأَنْتَ عَاقِلٌ، أَيْ بِزَعْمِكَ[6]؛ فيكونُ معنى الشَّرطِ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بزعمِكم أَنَّكُم مُؤمنونَ؛ وعليه

نزعُ صفةِ الإيمانِ عن المُخاطَبين، بحَملِ الكلامِ على الاتِّساعِ المُستَساغ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/179، والسمين، الدر المصون: 1/517.
(2) وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان؛ فيحذف من كل واحد منهما مُقَابِلُهُ لدلالة الآخر عليه، يُنظر: الزركشي، البرهان: 3/129، والجرجاني، التعريفات، ص: 12.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 1/325.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 1/324.
(5) البغوي، تفسير البغوي: 1/143، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/130.
(6) أبو حيان، البحر المحيط: 1/493.

فَلَمْ يُثبِتِ الإيمانَ لَهُم، بل نفاهُ عَنْهم، لِمُقتضى التَّشكيكِ الحاصلِ بـ﴿إن﴾؛ أي: فليسَ إيمانُكم إيمانًا إذَا كان يَدَّعُو إلى قَتلِ الأنبياءِ[1]، فخرجت أداةُ الشَّرطِ ﴿إن﴾ عنْ أَصلِ وضْعِها الّذي هو الشَّكُّ إلى معنى النَّفي على المجازِ، وهذا على جعْلِ جُملةِ الشَّرطِ على أَصلِها في النَّظمِ، لا على أصلِها في الظَّاهِرِ؛ أَي: دونَ تَقديمٍ أَو تَأخيرٍ.

الإضافَةُ للاختِصاصِ المُقتَضي التَّشريفَ:

والإضافَةُ تَحملُ مَعنَى التَّخصيصِ الّذي يَقتَضِي تَشريفَ الأنبياءِ وقُربَهم من اللهِ[2]، فأفادَ هذا الأسلوبُ الشّرطيُّ التّكرارَ وتقديمَ ما ظاهِرُه التأخيرُ، وكلا الأسلوبَين يُفيدان الاهتِمامَ والعِنايَةَ وتَقريرَ مَعنَى الإنكارِ على فِعلِهم، ولا بدّ من الإشارَةِ إلى أنَّ بعضَ النُّحاةِ والمُفسّرين ذَهَبُوا إلى أنْ لا تَقديمَ ولا تأخيرَ في الجَوابِ والشّرطِ، بل هو على حالِه؛ إذ قدّم الجوابَ على الشَّرطِ[3]، فيكونُ في الكلامِ تَقديمٌ وتأخيرٌ من غيرِ تَكرارٍ.

معنى الإضَافةِ في قوله ﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾:

تشريفُ الأنبياءِ بكونِهم مُرسَلين من اللهِ تَعَالى، وأنَّ أعمالَهم خالصةٌ لَهُ

حملتْ الإضافةُ معنى أنَّهم أنبياءُ مُرسَلون من اللهِ تعالَى، أو أنبياءُ للّه تعالَى في دَعوتِهم وأعمالِهم، أو كلاهما وهو الصَّحيحُ، "وفي إضافة أَنْبياءَ إلى الاسمِ الكَريمِ تَشريفٌ عَظيمٌ، وإيذانٌ بأنَّه كان يَنبَغي لمن جاءَ من عندِ اللهِ تعالى أنْ يُعظَّم ويُنصَر، لا أنْ يُقتَل"[4].

سِرُّ اقترانِ الحالِ والاستِقبالِ بقَيدِ الماضي:

الرِّضا بفعلِ الأسلافِ يُؤدِّي إلى العَزمِ على مُشابَهتِهم

للسَّائلِ أنْ يسألَ عن سرِّ ذكرِ صيغةِ المُضارعِ ﴿تَقْتُلُونَ﴾ المفيدةِ للحالِ والاستقبالِ، مع اقترانِها بقيدِ ﴿مِن قَبْلُ﴾، وكونِ الخطابِ لليَهودِ المُعاصِرين لنزولِ القرآنِ؟!. والجوابُ: أنَّه أتى بالمضارعِ

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/175.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 1/493.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/179، والسمين، الدر المصون: 1/517.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 1/325.

لاستحْضَارِ بَشاعةِ صُورَةِ قَتْلِ الأنبياءِ، كأنَّه وَقَعَ وقتَ نزولِ الآيةِ، تأكيدًا لغَضَبِ اللّهِ تعالَى على هذا الفعلِ، وأنَّه سُبحانه مُعاقِبٌ مَن اقترَفَه ورَضِيَ به؛ ليدخُلَ المُعاصِرون المتابِعون لمنهجِ أسلافِهم، فوقعَ قيدُ ﴿مِن قَبْلُ﴾ احتراسًا أن يظنَّ ظانٌّ أنَّ القتلَ كان منهُم مباشرةً، وتأكيدًا لرضا الأتباعِ عمَّا اقترَفه الأسلافُ؛ فذِكرُ ﴿مِن قَبْلُ﴾ بَعد خِطابِ المُعاصِرين بيانٌ لِرِضَاهم بِما حَصَلَ منْ قَبْلُ على أيدي أَسْلافِهم الّذين خُوطِبوا به، فنُزِّل المعاصِرُون منزلةَ الأسلافِ بالخطابِ، وبقيد ﴿مِن قَبْلُ﴾، كأنَّهم كانوا من قَبْلُ؛ فَصَنَعوا صَنيعَهم، وهذا من تمامِ التَّأكيدِ بل المبالغة فيه، فهذا شأنهُم الّذي يُداومُون عليهِ. ولمّا كانوا راضين بفعلِ آبائهم صَراحةً، عازمين عليهِ مع سيِّدِ الخلقِ إشارةً؛ أُسْنِدَ القتلُ إليهم[1].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/179، والرازي، التّفسير الكبير: 3/603، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 1/94.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»